مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح
برنامج دار العلوم

أصالة التفكير الفلسفي في الإسلام

الدكتور

أ.د/ عبد الرضي محمد

محاضرات

كـود	الترم
103	(1)

يوجد على الموقع صورة من هذه المحاضرات www . oucu . edu . eg

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولي

الوحدة الأولي: مفهوم الفلسفة وسمات التفكير الفلسفي

أ- مفهوم الفلسفة

الفلسفة لفظ منقول من اللغة اليونانية عبارة عن مقطعين:

(فيلو)، (سوفيا) ومعناهما معاً محبة الحكمة.

- وقد أصبح اللفظ علماً علي العلم الذي يهتم بدراسة مبادئ الوجود الأولي، ويفسر المعرفة تفسيراً عقلياً.

وقد نظر كثير من المشتغلين بالفلسفة قديما وحديثاً إليها علي أنها (علم و عمل) فهي علم بحقائق الأشياء، وعمل بالأصلح، لذلك قسمها القدماء إلي حكمة نظرية تضم العلم بالإلهيات و الرياضيات والعلم الطبيعي، وإلي حكمة عملية تشمل الأخلاق التي تدبر علاقة الإنسان بمجتمعه، والسياسة التي تدبر شؤون الحكم.

ويقال إن أول من استعمل ذلك المصطلح (فيلسوف) هو سقراط الذي رفض أن يسمي نفسه حكيما وسمي نفسه (فيلسوفاً) أي محبا للحكمة من باب التواضع.

ب - تعريف الفلسفة

اختلفت آراء الفلاسفة ومدارسهم في تعريف الفلسفة بحسب المنظور الذي ينظر كل منهم إليها من خلاله.

فبعضهم تتسع نظرته إليها لتشمل جميع أنواع المعارف، فيعرف الفلسفة بأنها: (محبة الحكمة) أي طلب معرفة الحقائق عن كل شيء.

وبعضهم ينظر إلي الجانب العلمي فيها، فيعرفها بأنها "التشبه بأفعال الله بحسب الطاقة البشرية".

فقد ورد قريب من ذلك في أمر النبي صلي الله عليه وسلم:

" تخلقوا بأخلاق الله" أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات و التجرد عن المحولان.

وبعضهم نظر إلي الجانب الأخلاقي في الفلسفة فعرفها بأنها: " العناية والقصد إلي إماتة الشهوات".

ونظر آخرون إلي دورها الإنساني فعرفها بأنها: "معرفة الإنسان نفسه" بوصفه صورة مصغرة للعالم الأكبر.

لهذا كان سقراط يجعل منهجه ما كتب من شعار علي معبد دلفي " اعرف نفسك بنفسك"

وفي العصر الحديث أطلق علي الفلسفة: "المبادئ الأولي التي تفسر المعرفة تفسيراً عقلياً كفلسفة العلوم وفلسفة الأخلاق وفلسفة التاريخ"

ويمكننا كذلك أن نقترح تعريفاً شاملا لكل تلك التعريفات بأن الفلسفة:

"رؤية إنسانية شاملة للحياة بجانبيها النظري والعملي تهدف إلي تحقيق متعة التأمل العقلي والمعرفة الصحيحة وإدراك السعادة بتدبير الحياة التي تكون في صورة أفضل"

جـ- موضوع الفلسفة

يختلف موضوع الفلسفة الذي تدرسه باختلاف العصر واختلاف مدارس المفكرين والفلاسفة والظروف المحيطة بهم، لأن الفيلسوف لا يعيش منفردا عن عصره وتياراته، ومن ثم كانت فلسفة أفلاطون تعبيراً عن عصره الديمقراطي، وكانت فلسفة ديكارت تعبيراً عن حالة الصراع بين العقل وبين هيمنة الكنيسة علي الحياة.

1- في العصور القديمة والوسيطة

كان موضوع الفلسفة في العصر القديم هو العلوم جميعها، فالعقل يرغب في معرفة الحقائق عن الموجودات كلها، وقد استمر هذا البحث من خلال الفلسفة في العصور الوسيطة، لكن هذا المجال الموسوعي أضيف إليه تناول الحقيقة الدينية أو علاقة الوحي بالعقل والفلسفة بالدين.

2- في العصر الحديث

بعد أن انفصلت العلوم وكما يري المشتغلون بالفلسفة أن موضوعات الفلسفة اليوم هي:

- مبحث الوجود أو الأنطولوجي

وهو المعروف بما وراء الطبيعة الذي يبحث في وجود العالم من جهة تعلقه بإله، ومن جهة العلة المؤثرة في أحداثه، ومن جهة الغاية والقصد منه.

- مبحث المعرفة أو الأبستمولوجي

وهو ما يبحث في موضوع المعرفة والعلم، وهل المعرفة ممكنة أم لا، وما حدود المعرفية أهي يقينية أم احتمالية ؟ وما مصدر المعرفة ؟ وما وسائلها؟.

- مبحث القيم أو الأكسيولوجي

وهو يختص بدراسة القيم التي يجب مراعاتها وأن تكون عليها في التفكير السليم، فيما يخص علم الأخلاق، وعلم المنطق، وعلم الجمال.

- فلسفة العلوم

وتبحث في المقدمات والقوانين المتبعة في فلسفة: التاريخ والقانون والدين و الطبيعة ... إلخ.

- مشكلات الحياة العامة

وتتعلق بمشكلات السياسة والدولة ودورها كما يظهر من كتاب "الجمهورية" لأفلاطون، وكتاب " السياسة" لأرسطو وكتاب "آراء أهل المدينة الفاضلة" للفارابي.

د- غاية الفلسفة وأهدافها

اختلفت غاية الفلسفة بسبب اختلاف الأعصر والثقافات ومناهج الفلاسفة ومدارسهم علي مدار العصور.

ففي العصور القديمة، كانت الفلسفة لدي أفلاطون و أرسطو لا تبتغي أهدافاً قريبة وإنما غايتها محصورة في كشف الحقيقة لذاتها فالمعرفة العقلية والتأمل الفكري هما الغاية وحدهما.

ولكن المدرسة الرواقية (الرواقيون) رأت أن الفلسفة هي من الفضيلة، وأنها ينبغي إعادة صياغة الحياة بناء علي هذا المبدأ من خلال الزهد في اللذات. بينما رأى الأبيقوريون أن السعادة هي الغاية من الفلسفة ومن الحياة لذلك ينبغي أن ينطلق الإنسان لتحقيق السعادة الروحية والحسية.

وفي العصور الوسطي، كانت غاية الفلسفة التوفيق بين العقل والدين للإفادة من العقل في البرهنة علي الإيمان والتوفيق بين الحكمة والشريعة، وكان ذلك عمل رجال اللاهوت المسيحي والفلاسفة المسلمين علي السواء مثل: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ...إلخ.

أما في عصر النهضة والعصر الحديث، فقد اتجهت الفلسفة نحو المنهج العلمي والغايات العلمية والمنافع المادية.

ففرنسيس بيكون (1626م) مثلا جعل غاية الفلسفة البحث عن منهج جديد للتفكير هو المنهج التجريبي الذي يجعل معيار الصواب والخطأ في الأشياء هو التجربة الواقعية العملية.

وديكارت (1650م) أسس منهجاً عقلياً رياضياً يعتمد علي الاستنباط البرهاني، وينقد المنطق الصوري، ليربط الفلسفة بالحياة العملية العلمية.

وبسبب هذا التطور في اتجاهات الفلسفة لم تعد الفلسفة فراغاً يملأ الناس به أوقاتهم كما كانت لدي اليونانيين الذين كانوا يأنفون من العمل اليدوي الذي قصروه علي العبيد، فلذلك اتجهوا إلي التفلسف لأنهم سادة.

هـ- تطور الأهداف العامة والفرعية للفلسفة

فمن الناحية العقلية نجد أن الفلسفة سعت إلي الارتقاء بمستوي التفكير الإنساني بعيداً عن الخرافات والآراء الشائعة، وحرصت علي إشباع رغبة الإنسان الدائمة في حب المعرفة، وعملت علي الترغيب في استخدام المنهج العلمي في التفكير.

وعلي المستوي الروحي والوجداني عملت علي تأكيد أهمية القيم الروحية، وتحقيق التوازن بين متطلبات المادة والروح، كما حاولت إخضاع العواطف والانفعالات لأحكام العقل.

وعلى المستوي الأخلاقي والاجتماعي سعت الفلسفة لإبراز القيم الخلفية الفاضلة، كما وجهت الجهود العقلية لخدمة المجتمع ومواجهة مشكلاته وإيجاد حلول لها.

أما علي المستوي الإنساني، فقد حرصت علي تحقيق قدر كبير من التفاهم بين المجتمعات والشعوب والسعي نحو السلام العالمي علي أساس المحبة والصداقة بين بني الإنسان.

و- خصائص الموقف الفلسفي

1- قلق وحيرة ودهشة

2- تأمل وتفكير

3- شك منهجي يرفع صاحبه فوق الاعتقادات النفسية الفقيرة إلي البرهان والحجة، كما يرفعه فوق الشك الهدام الذي يدعو إلي التوقف عن التفكير.

4- التسامح والمرونة وسعة الأفق.

5- الميل إلي الإفادة من التجربة والخبرة.

6- الموضوعية والحياد والتجرد من الانفعالات النفسية وعدم الانحياز إلا إلي الدليل.

7- الصبر والمثابرة والحرص.

التطبيقات

الوحدة الأولي

س1: ما الذي تعنيه كلمة فيلسوف؟ وعلام تدل؟ ومن أول من استخدمها.

ج1: كلمة فيلسوف كلمة يونانية من مقطعين(فيلو) بمعني محبة، (سوفيا) بمعني الحكمة، وتعني محبة الحكمة.

وهي تدل علي العلم الذي يدرس مبادئ الوجود الأولي، ويفسر المعرفة تفسيراً عقلياً.

وأول من استعملها سقراط عندما رفض أن يسمي نفسه حكيماً، وسمي نفسه محباً للحكمة.

س2: لماذا اختلفت تعريفات الفلسفة؟ مع التمثيل.

ج2: بسبب اختلاف المنظور الذي رآها الفلاسفة من خلاله وذلك علي النحو الآتي:

1- من كانت نظرته موسوعية عرفها بأنها"محبة الحكمة" وذلك لمحاولة معرفة الحقيقة حول كل الأشياء

2- من راعي الجانب العملي عرفها بأنها "التشبه بأفعال الله"

3- ومن نظر إلي الجانب الأخلاقي عرفها بأنها "العناية والقصد إلي إماتة الشهوات"

4- ومن حرص علي البعد الإنساني عرفها بأنها "معرفة الإنسان نفسه" لذلك كان منهج سقراط يعكس الشعار المشهور"اعرف نفسك بنفسك"

س3: ما الذي استقرت عليه موضوعات الفلسفة في العصر الحديث؟

ج3: أ- مبحث الوجود (الأنطولوجي)

وهو البحث في ما وراء الطبيعة من جهة وجود إله للكون، ومن جهة العلل المؤثرة فيه، والغايات وراءه، والصدفة والقصد.

أ- مبحث المعرفة (الأبستمولوجي)

ويبحث في المعرفة من جهة: الإمكان، الأدوات، المصادر، وطبيعة المعرفة، تكون احتمالية أم يقينية.

جـ- مبحث القيم (الأكسيولوجي)

يدرس القيم الواجب مراعاتها في التفكير السليم، وفي الجمال، وفي الأخلاق.

د- فلسفة العلوم

ويبحث في القوانين المتبعة في فلسفة التاريخ والقانون والدين.

هـ- مشكلات الحياة العامة

ويتعلق بمشكلات السياسة والدولة كما يظهر في كتاب أفلاطون"الجمهورية" وكتاب الفارابي"آراء أهل المدينة الفاضلة"

س4: ما الفارق بين غاية الفلسفة لدي أفلاطون وأرسطو ولدى المدرسة الرواقية والمدرسة الأبيقورية؟

ج4: الفلسفة لدي أفلاطون وأرسطو غايتها محصورة في كشف الحقيقة والمعرفة العقلية.

بينما المدرسة الرواقية تري أن الفلسفة هي فن صناعة الفضيلة، أما المدرسة الأبيقورية فتري أن الفلسفة مهمتها تحصيل السعادة واللذة لذلك لابد من انطلاق الإنسان لتحصيل لذاته المادية والروحية.

س5: بين كيف تطورت الأهداف العامة والفرعية للفلسفة؟

ج5: تطورت أهداف الفلسفة علي مدار تاريخها لتصبح علي النحو التالي:-

1- من الناحية العقلية استهدفت الفلسفة الارتقاء بمستوي التفكير الإنساني بعيداً عن فكر الخرافة والتقليد، وحرصت علي الترغيب في استخدام المنهج العلمي في التفكير.

2- علي المستوي الروحي والوجداني عملت علي تأكيد أهمية القيم الروحية، وتحقيق التوازن بين مطالب المادة والروح، وإخضاع الانفعال لأحكام العقل.

3- علي المستوي الأخلاقي والاجتماعي سعت الفلسفة لإبراز الفضائل الخلقية، كما وجهت الجهود العقلية لخدمة المجتمع وحل مشكلاته.

4- علي المستوي الإنساني حرصت الفلسفة علي تحقيق قدر كبير من التفاهم بين المجتمعات والشعوب، والسعي إلي تحقيق السلام بينها علي أساس المحبة والصداقة بين بني الإنسان.

المحاضرة الثانية

الوحدة الثانية: الفكر الإسلامي في مصادر الأصلية.

لعل أهم ما يبحث فيه دارس الفلسفة الإسلامية هو علاقة الإسلام بالفكر، لأن الفلسفة الإسلامية قد نشأت في ظل الإسلام وحضارته، كما أن موضوع العلاقة بين الإسلام والفكر كان أحد الأدلة التي استند إليها فلاسفة الإسلام مثل الكندي وابن رشد في الاستدلال على مشروعية الفلسفة ودراستها، كذلك فإن هذا الموضوع كان أحد الأسباب وراء هجوم المستشرقين على الإسلام واتهامه بأنه:-

1- حرم استخدام العقل في المسائل الدينية كما يقول تيري الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي في باريس.

2- اعتمد على الخيال الديني وليس على البناء العقلي كما يقول البريطاني جب.

3- يوصف بالسذاجة والضحالة التي وقفت عائقا أمام التطور الضخم للعلم الذي يحتاج شعوبا لها روح تركيبية مبدعة.

وقد ترتب على هذه النظرة السطحية لعلاقة الإسلام بالفكر عدد من الشبهات التي أثيرت حول الإسلام، منها:-

أ- الإسلام مضاد للعلم مناهض للفكر:-

لأن الإسلام لا يشجع الجهود العلمية ويعوق النظر العقلي الحر فأغلق الطريق أمام تقدم العرب في الفلسفة.

ب- الإسلام مضاد للتقدم والمدنية:-

فأتباعه لا يستطيعون بناء الحضارة أو الإسهام في النهضة بسبب تعاليمه الجامدة، وبذلك يقول (اللورد كرومر) المندوب السامي.

ج- اضطرار المسلمين للجوء إلى علم الكلام:-

وذلك لأن القرآن الكريم لم يشتمل على بناء عقلي مقنع في مجال العقائد، وكأن الناس في حاجة إلى تفسير وتبرير عقلي لعقائدهم فجاءوا إلى البديل في علم الكلام.

د- أن الحركة العقلية والفكرية في الإسلام قامت على التراث الأجنبي:-

وذلك لأن الاتصال بالأمم والثقافات الأجنبية كان الدافع وراء تلك الحركة وليس الدافع هو تلبية الحاجات الطبيعية التي أحسها المفكرون والعلماء في المجتمع، لأن أولئك كانوا مكتفين بفهمهم الفطري الساذج مكتفين بحماسهم الديني، منشغلين بالجهاد، فلما تمت حركة الترجمة والاطلاع على تراث الأمم الأخرى أدركوا حاجتهم إلى الفكر والعقل، ويتبنى هذا الاتهام عدد من المستشرقين أبرزهم اليهودي المجري (جولدزيهر).

ولا شك أن تلك النظرة السطحية والشبهات المثارة حول علاقة الإسلام بالفكر والعقل لا تصمد أمام المناقشة العلمية وذلك لأن معجزة الإسلام الأساسية وهي القرآن الكريم هي معجزة علمية عقلية قد تضمنت من الشواهد العقلية والفكرية ما لا يحصى، ومن ذلك:-

أ- فيض من الآيات القرآنية التي تدعو إلة النظر والتفكير، وتحث على الاعتبار والتأمل، وتوجه إلى استخدام الحواس والعقل، مثل قوله: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)، وقوله: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت).

ب- دعوة القرآن أتباعه إلى الاعتماد على الحجة والبرهان، فقال تعالى: (نبئوني بعلم إن كنت صادقين)، وقال تعالي: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)، وبالتالي يذم القرآن الذين يتبعون الظن ولا يعملون العقل.

ج- تطبيق القرآن دعوته للتأمل والنظر والأخذ بالحجة والبرهان عمليا على نفسه في قضايا الإيمان وأصول الدين فذكر كل أصل مبرهنا عليه برهانا مقنعا للنفوس.

وكذلك طبقه في مجال الجدل مع المخالفين من المشركين ومن اليهود والنصارى ولهذا منع القرآن الإكراه في الدين (لا إكراه في الدين) فلو شاء الله لآمن من في الأرض كلهم جميعا، وإنما ترك الإسلام مسألة الدعوة إلى دينه للحجة والإقناع والبرهنة فكان ذلك كما يقول أبو الحسن العامري من فضائل الإسلام على غيره.

د- انتشار الإسلام بالحكمة والدعوة والحجة لا بالسيف، فمدينة رسول الله ﷺ لم تفتح إلا بالحكمة لأن الحجة الصحيحة كما يقول ابن حزم لا تهزم أبدا، أما الإعداد الكثير والسلاح فقد يهزم.

وقد جعل الإسلام الاجتهاد في طلب الحق عبادة (إذا حكم الحاكم فاجتهد فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد).

ذ- ورود العديد من آيات القرآن الكريم الدالة على كمال الدين وتمام الرسالة مثل قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا).

لا يعني إغلاق الطريق أمام العقل، بل يعني لدى أهل الفقه فتح الباب واسعا أمام الاجتهاد لتحصيل الأحكام الشرعية التي وردت مجملة في الكتاب العزيز، فكمال الشريعة لا يحول دون اجتهاد العقل.

أما النظر في مسائل الكون والمعرف فقد تضمن الكتاب العزيز من الإشارات العديدة ما جعل العلماء يختلفون حول ما إذا كان القرآن قد تضمن أصول العلوم الدنيوية كلها أم لا؟

فذهب بعض العلماء إلى أنه قد تضمن أصول العلوم كلها لقوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) على أساس أن الكتاب هنا مقصود به القرآن الكريم، وذهب آخرون إلى أن المقصود بالكتاب هو اللوح المحفوظ.

وبهذا يفتح الباب واسعا أمام عمل العقل في مجالات العلوم المختلفة بمقتضى توجيه الإسلام ودعوته.

ويؤكد ذلك عدم تضمن النصوص الإسلامية شيئا من الأحكام التي يتعذر إثباتها عقليا أو عمليا على التواريخ القديمة، وكذلك عدم استهلاك العقل في التفريعات التي تغرقه، وتبعده عن النظر والإبداع مثلما حدث لدى اليهود والصينيين.

س- عمل النبي ﷺ بالاجتهاد وتدريب الصحابة عليه:-

ومن ذلك رأيه في تأبير النخل وقوله (أنتم أدرى بشئون دنياكم) ونزوله على رأي الحباب بن المنذر في مكان موقعة بدر، وقبوله مشورة سلمان الفارسي حفر الخندق حول المدينة.

ش- عقيدة ختم النبوة في الإسلام:-

وهي تعني جانبين:

الأول: أن الله تعلى تفضل على البشرية بهذا الوحي الخاتم الذي هو كمال الرسالات مما يستوجب حفظ كتابه من التبديل أو التحريف ليظل حجة على كل الخلف بما تضمنه من إعجاز للعقول المنصفة لكونه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد).

الثاني: أن البشرية بلغت من الكمال ما تستطيع به الاعتماد على نفسها في ضوء الأصول المتضمنة في هذا الوحي.

ص– أن طاعة الرسول الواجبة فيض قوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) تقتضي أن كلا يؤخذ من قوله ويترك – كما قال ابن عباس – إلا النبي صلى الله عليه وسلم.

مما يجعل آراء العلماء والمذاهب لا عصمة لها إلا بما تشتمل عليه من حجة وبرهان لذلك اشتهرت كلمة علي بن أبي طالب (لا تعرف الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله).

فكانت تلك دعوة للاجتهاد والنظر والبحث عن الدليل الذي لا يحتكره أحد فكما قال الشافعي: (رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب) وللجميع حق الرأي والاجتهاد كما قال عمر بن الخطاب لمن جاءه يسأل عن رأي في مسألة: "قضى فيها على بن أبي طالب بكذا، وقضى زيد بن ثابت بكذا، ولو كنت أنا لقضيت فيها بكذا" فقال السائل: ولماذا لا تقضي وأنت أمير المؤمنين؟! قال: "لو كنت أردك فيها إلى كتاب الله وسنة رسوله لفعلت، ولكني أردك إلى رأيي والرأي مشترك".

فليس في الإسلام كهنوت لذلك تصدر الموالي حلقات الدرس الإسلامي في الحديث والتفسير وغيره فلما فزع بعض حكام بني أمية من ذلك قال الزهري: "إنه دين الله من حفظه ساد، ومن ضيعه سقط".

تطبيقات الوحدة الثانية:-

س1- ما الأسباب التي تلزم دارس الفلسفة الإسلامية؟ بحث موضوع علاقة الإسلام بالعقل.

ج- تتمثل الأسباب فيما يأتي:-

أ- أن الفلسفة الإسلامية قد نشأت في ظل الإسلام وحضارته.

ب- علاقة الإسلام بالفكر كانت أحد الأدلة التي استند إليها فلاسفة الإسلام مثل الكندي وابن رشد في الاستدلال على مشروعية الفلسفة ودراستها.

ج- كان هذا الموضوع أحد العوامل وراء هجوم المستشرقين على الإسلام واتهامه بأنه:-

1- حرم استخدام العقل في المسائل الدينية كما يقول تيري الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي في باريس.

2- اعتمد على الخيال الديني وليس البناء العقلي كما يقول البريطاني جب.

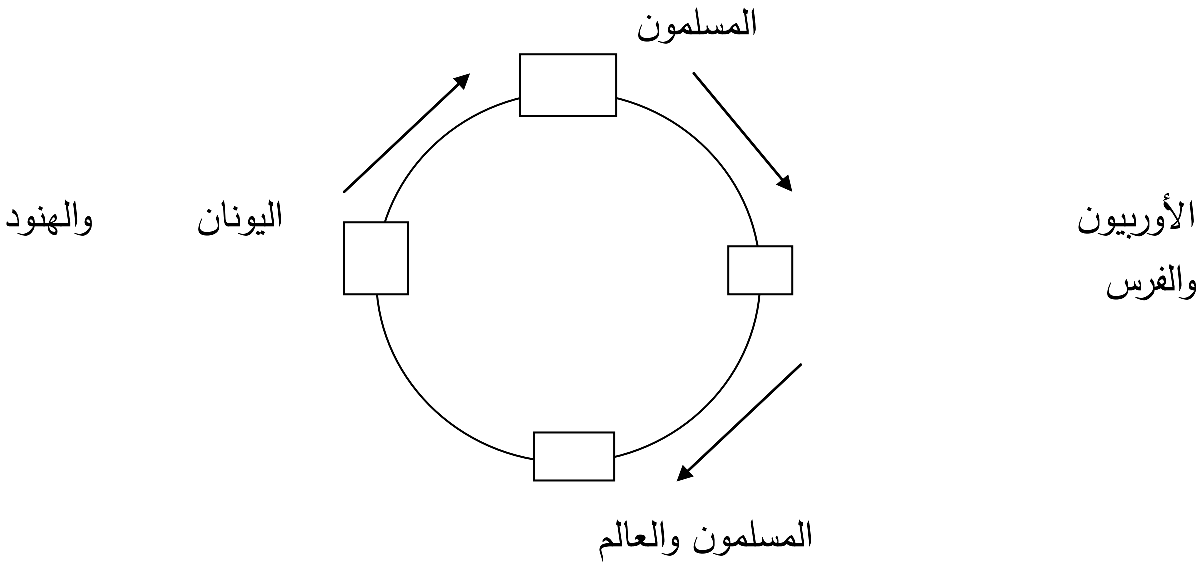
3- يوصف بالسذاجة والضحالة التي وقفت عائقا أما التطور الضخم للعلم الذي يحتاج شعوبا لها روح تركيبية مبدعة كما يرى إيرنست رينان.

المحاضرة الثالثة

الوحدة الثالثة

حركة الترجمة وأثرها في نشأة الفلسفة الإسلامية

حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية في قرون الإسلام الأولى من أهم الأحداث في تاريخ الفكر الإنساني ، فلا يماثلها إلا حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية في القرن الثالث عشر الميلادي وما بعده ، بسبب ما كان لذلك من أثر في النهضة العلمية الإنسانية



ولكن نقف على حركة الترجمة وقوفًا علميًا دقيقًا سنتنا ولها فيما يلي :

أولا : مراحل الترجمة .

بدأت الترجمة إلى اللغة العربية على يد خالد بن يزيد بن معاوية (85هـ) الذي كان يسمى حكيم آل مروان ، وقد استقدم بعض اليونان لنقل كتابات عن الكيمياء إلى اللغة العربية .

لكن الدولة العباسية اهتمت اهتمامًا واسعًا بالترجمة بدءًا من الخليفة المنصور المعروف بأبي الدوانيق لشهرته بالبخل ، لكنه لم يبخل على استقدام الأطباء والإنفاق على المترجمين بسخاء فترجمت له كتب في الفلك من الهندية والفارسية .

ومرورًا بهارون الرشيد (ت 193 هـ) الذي عيّن أمنيًا لحركة الترجمة على شؤونها هو يوحنا بن ما سوية .

ووصولا إلى الذروة من خلال المأمون (ت 218هـ) نظرًا لقدرته العلمية على الحوار والنقاش وتمكنه من بعض العلوم والمؤلفات ، ونظرًا لارتباطه بفرقة المعتزلة ذات الجدليات العقلية التي تحتاج إلى المنطق والفلسفة لتدعيم براهينها ، ونظرًا كذلك لإجادته اللغة الفارسية لغة أمة .

مما جعله يقيم دارًا للحكمة يُعَيَّن فيها المترجمون والمراجعون للترجمات ، وقد جعل ذلك الاهتمام بالترجمة ينتقل إلى الأسر الغنية في بغداد وغيرها .

ثانيًا : أسباب الترجمة .

1- الفائدة المرجوة أو المحققة للكتب المترجمة مثل كتب الطب أو الفلك والحساب التي يستعان بها في أداء الفرائض كالصيام والصلاة والحج والزكاة والمواريث.

2- العطاء المادي المبذول للمترجمين من جانب الخلفاء، فكان ذلك مصدرًا لزيادة الدخل المادي حيث يروى أن بعض الترجمات كانت توزن بالذهب مقابلا لها .

كما أن الوضع الاجتماعي المميز للمترجمين جعلهم يبذلون أقصى الجهد في عملية الترجمة، لأنهم كانوا يعاملون كخبراء وأساتذة وأهل اختصاص وقد يكون للمأرب الأخرى في نفوس المترجمين دورها في حثهم وجديتهم، سواء أكانت دوافعهم إيديولوجية أم أخلاقية أو عنصرية.

3- الدعاية السياسية للخلفاء القائمين على الترجمة ، التي تعود عليهم من رعاية هذا العمل العلمي ، مما جعل حتى البخلاء منهم يقدمون على وتشجيعها والإنفاق عليها .

4- ازدهار الحضارة الإسلامية ذلك الازدهار الذي جعل المسلمين يتطلعون إلى الوقوف على ما يسمى بعلم الحكمة (الفلسفة) بوصفه نوعًا من الترف العلمي لم يكونوا تفكرون فيه إلا بعد الاستقرار والازدهار .

5- انتشار اللغة العربية وسيادتها بوصفها لغة عالمية دينية ، نجعل ذلك أهل الدين وغيرهم يسعون إلى إجادتها ، ثم إلى محاولة الحفاظ على تراثهم الحضاري من خلال نقله إليها كي لا ينقرض .

ثالثًا : ملاحظات على حركة الترجمة .

1- كانت حركة شاملة لكل جوانب العلم المعروفة في ذلك العصر ، فقد شملت الطب والفلك والهندسة والرياضة والتشريح والفلسفة والأخلاق والأديان ، وتمت من لغات متنوعة : الهندية والفارسية واليونانية والسريانية والقبطية وغيرها.

وقد فازت الفلسفة والمنطق ينصب الأسد من حظ الترجمة فتعددت الترجمة للمؤلف الواحد وللفرق والتيارات الفلسفية المتنوعة .

2- لم يقتصر المترجمون على عملية الترجمة بل أضافوا شروحًا وتفسيرات أهلتهم للعمل الفلسفي مثل يحيى بن عدي وحنين بن إسحاق اللذين عدّها الشهرستاني من جملة الفلاسفة ، وليس كما يرى المستشرق دي بور أن المترجمين كانوا يعملون فقط نزولا على أوامر الخلفاء .

3- غابت الدقة العلمية عن بعض الكتب المترجمة لأسباب منها :

أ- عدم معرفة المترجم باللغة التي ينقل منها .

ب - التوجه من خلال لغة وسيطة مثل السريانية نقلا عن اليونانية .

ج- نقص الأمانة في النقل والترجمة لدى بعض المترجمين .

د- قصور المعرفة بموضوع الترجمة أو صعوبته .

4- نسبة بعض الكتب بغير أصحابها مثل كتاب (أثولوجيا) أبي الربوبية المنسوب لأرسطو مما جعل الكندي والفارابي يحاولان التوثيق بنية وبن كتب أفلاطون ، ولكن ابن رشد بيّن بعد ذلك أنه من تاسوعات (أفلوطين).

ومثل كتاب التفاحة المنسوب لأرسطو يشرح فيه فكرة الخلود الروحي ممسكا بتفاحة ، مع أنه نقل مشوه عن محاورة فيدون لأفلاطون التي خصصها للحديث عن سقراط يعظ تلاميذه قبل إعدامه عن خلود الروح .

رابعًا: آثار الترجمة .

1- كانت سببًا في حفظ تراث الأمم السابقة من الضياع إذ كانت بعض الكتب تدرس لدى طائفة مخصوصة في بعض الأماكن المضطهدة بسبب الاعتقاد أو المذهب أو الرأي .

ومن تلك الكتب التي حفظتها اللغة العربية (حجج ابرقلس) التي ضاع أصلها اليوناني ، ومقالات الإسكندر الإفروديس أكبر شراح أرسطو ، بعض رسائل أرشميدس خاصة في التشريح .

وقد تم نقل هذه الكتب إلى اللغة الأوربية أثناء حركة الترجمة من العربية إلى أوربا انطلاقًا من أسبانيا ، مما تدين الثقافة والعلم الأوربي به للمسلمين ، فإن كان الأوربيون يمكنهم الاستغناء عن العلوم الهندية والصينية لكنهم لا يمكنهم الاستغناء عن العربية صاحبة الفضل في النهضة الغربية المعاصرة .

ولا يغض من قيمة الإسهام الإسلامي وفضله على الحضارة الإنسانية كون أكثر المترجمين من غير العرب ، لأن هؤلاء المترجمين لو لم يجدوا من التسامح الإسلامي ومن تشجيع الخلفاء والأمراء والسخاء المادي في الإغداق عليهم ، ما كانوا قد وجدوا الرغبة أو القدرة على الصبر تجاه عملية الترجمة الصعبة .

يقول سارقون مؤرخ العلوم : ليس لما قام به المسلمون في تاريخ العلم شبه عدا اكتساب اليابانية للعلم الحديث " .

2- إضافة تيارات وألوان جديدة من العلوم المتصلة بالحضارات السابقة بعد أن كانت الثقافة الإسلامية مستقلة بعلوم متمركزة حول القرآن والسنة واللغة العربية.

فنشأت يموت إسلامية تقتبس من الآداب والحكم لدى الأمم الأخرى، ونشأت دراسات مقارنة بين الأديان والمذاهب، واستلهم المتكلمون أساليب الجدل والبرهان الفلسفي كما حدث لدى المعتزلة

وأفاد المسلمون من المنطق في بحوثهم الأصولية وجعله بعضهم مقدمة ضرورية للعلم كما فصل الغزالي.

كما كانت الإفادة واضحة في مجالات العلوم التجريبية كالطب والفلك والصيدلة والنبات ... الخ

ولم تقف حدود الإفادة الإسلامية عند مجرد النقل بل تعدته إلى الإبداع والإصلاح فأصلح المسلمون آلات الرصد التي تحدث عنها كتاب المجسطي وتوصلوا إلى آلات تقيس أبعد منها.

وبالتالي تعددت جوانب الإضافة الإسلامية متمثلة في:

أ- وضع علوم جديدة مثل الجبر الذي قام به الخوارزمي.

ب-تصويب الأخطاء السابقة مثل ما قام به ابن الهيثم من تصويب خطأ السابقين في نظرية الرؤية لدى بطليموس.

وكذلك ما قام به الجاحظ في كتاب الحيوان من تصويبات للآراء أرسطو.

وما قام به الكندي من تصويب وظيفة علم الكيمياء من علم يبحث عن تحويل المعادن إلى ذهب لعلم تجريبي محكم.

ج- ابتكار المنهج الاستقرائي المستند إلى التجربة وتطبيقه في مجالات علمية متعددة، بعد أن كان السائد لدى اليونان منهج النظر العقلي وحده المعتبر في الحقائق كما يقول بامنيدس وكما أعلى شأنه أفلاطون عندما جعل من نظرية المثل طريقًا ومدخلًا للتخلي عن علوم الكون، لأن الكون بما فيه عالم من النقص والظلال والأشباح وصورة مشوهة لحقيقة ثابتة كاملة موجودة في عالم المثل وراء الحس.

ولم تكن آراء سقراط التجريبية سوى ملاحظات لم تصل إلى حد المنهجية الواقعية الطبيعية.

لكن جاء المسلمون وأرسوا الحقيقة التجريبية على لسان البيروني "إلى التجربة يُلْجأ في مثل هذه الأشياء وعلى الامتحان فيها يعوَّل"، وعلى لسان جابر بن حيان: "وملاك كمال هذه الصنعة: العمل والتجربة فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشيء أبدًا".

كما أرسى المسلمون قاعدة منهجية أخرى هي اختلاف المناهج باختلاف الظواهر والعلوم المدروسة.

وقد وجد ذلك الابتكار المنهجي الإسلامي الذي أسهم بشكل فعال في تقدم العلم الإنساني، وجد من يقرٌ به من أساطين العلم الغربي مثل (جورج سارتون) الذي يقول: "إن كتب العلم التي كتبها العرب في القرون الوسطى ظلَّت أهم مورد يستقى منه العلم الحديث

طوال عدة قرون من الزمان، ... وأنه مهما بلغ بنا من إعجاب باليونان فلا مفر أمامنا من الإقرار بأنهم كانوا متخلفين من الناحية التجريبية التي تمثل الركيزة الجوهرية للعلم.

مثل (يريفولت) الذي يقول إنه لا توجد ناحية من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة.

وكذلك زيجريد هونكة التي تقول "نعم إن العرب هم مخترعو العلوم التطبيقية والوسائل التجريبية بكل ما تدل عليه هذه العبارة".

د- توصل المسلمين إلى علوم إسلامية جديدة ذات أسس وأصول عقلية منهجية تصلح للتطبيق في مجالات قانونية وعلمية متعددة مثل علم أصول الفقه الذي وصفه الشافعي لتحديد الأصول التي يرجع إليها الفقهاء لاستنباط الأحكام الشرعية، وهو علم غير مسبوق لأن العالم عرف القانون من قديم الزمان لكنه لم يقنن منهجًا للاستنباط من أحكامه.

وكذلك الحديث والرواية والجرح والتعديل ذو المنهج الفريد في قواعد التاريخ والتوثيق ونقد الطرق الروائية والمتون المنقولة.

بل يمكن القول إنه لولا حركة الابتكار العلمي الإسلامية ما كانت حركة الترجمة لتوجد لأنها لم تكن لتجد من يهتم بها.

3- ظهور طائفة الفلاسفة المسلمين الذين قاموا بالاشتغال بالنص اليوناني شرحًا وتفسيرًا ونقدًا وتعصيبًا، وذلك بدءًا بالكندي مرورًا بالعامري والسرخسي والفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن باجة وابن رشد ... الخ.

فأصبحت طائفة الفلاسفة مثلًا طائفة المتكلمين والنحاة واللغويين طائفة عليمة متميزة.

المحاضرة الرابعة

أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفات الغربية

يتعلق أمر هذا الموضوع بالإقرار والاعتراف بالفضل وإسناده لأصحابه فإن كنا قد أقررنا بفضل اليونان في مجال الفلسفة على العرب كما ظهر في عناوين بعض الكتب مثل «أرسطو عند العرب»، «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية».

فإن الواجب كذلك الإقرار بأن فضل الفكر الإسلامي على النهضة الأوربية يتجاوز حدود التأثير المحدود إلى فضل الإسهام في وجود الفكر الغربي الحديث ذاته.

وذلك لأن المسيحية ونظامها كان قد أحكم قبضته على التفكير الغربي إحكامًا عوَّق ذلك الفكر من الحركة والإبداع الذي لم يخلصه من أسره سوى مفكرين أمثال: إدلارد أوف باث (1070- 1135م)، ميخائيل سكوت (1175- 1235م)، وألبرت الكبير (1206-1280م)، وتوما الإكويني (1225- 1274م)، وروجر بيكون (1214- 1292م) وهؤلاء كانوا تلامذة للعم الإسلامي إما في مدارس الأندلس وصقلية، وإما من خلال المصنفات والكتب الإسلامية المنتشرة في أوربا من خلال الأندلس وصقلية، أو من خلال الاحتكاك أثناء الحروب الصليبية.

وهذا الإقرار الواجب نجد من يصرح به من هؤلاء مثل "إدلرد أوف باث" الذي يقارن بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي في حوار له مع ابن أخيه يجعل فيه الفكر الإسلامي تجسيدًا للعقل الحر، والفكر الغربي تجسيدًا للقيد على العقل.

كما يؤكد روجر بيكون (1214- 1292م) أحد المؤسسين للنهضة الأوربية والذي يعد ذا أهمية خاصة في هذا المجال؛ لأنه كان أول مفكر أوربي يتحدث عن المنهج التجريبي، يؤكد أنه: «لم يكن سوى رسول علوم المسلمين ومناهجهم لأوربا المسيحية»

وذلك يقطع بلا شك أن المنهج التجريبي في أوربا يعود إلى أصحاب الفضل عليهم في تأسيسه وهم الأساتذة المسلمون:

ولا يمكن أن نغض الطرف عن شخصية مركزية في عصر النهضة الأوربي وغيره من العصور ألا وهي شخصية توما الإكويني (1225- 1274م)، هذه الشخصية قد بينت الدراسات المعاصرة أنها قد استقت فكرها كاملًا من ابن رشد الفيلسوف المسلم الأندلسي

الذي أراد إثبات أن الفلسفة الحقة تتفق مع الدين لأن الحقيقة واحدة، وذلك ما جعله الإكوينى رسالة له في الفكر المسيحي، وجعله موسى بن ميمون رسالة له في الفكر اليهودي.

مجالات تأثير الفكر الإسلامي في الغرب:

أولًا: تأثير المتكلمين المسلمين

أ- تأثير المعتزلة

فكرة المعتزلة في الحرية الإنسانية التي فسرت من خلالها قضية الجبر والاختيار بأن الإنسان حر حرية كاملة في أعماله لا دخل للتأثير الإلهي في عمل الإنسان بأي شكل من الأشكال فالإنسان يتصرف بمعزل عن الإرادة والقدرة الإلهية فيقرر مصيره منفردًا.

هذه الفكرة كررها الفيلسوف ليبنتز ودرسها في مدارس فرنسا من عام 1840- 1890م.

ب- الأشاعرة

انتقلت نظرية «العادة والاقتران» الأشعرية التي تفسر العلاقة بين العلة والمعلول في الظواهر الطبيعية الكونية الحادثة في الوجود، والتي لا تجعل أن إحدى الظواهر سببًا في الثانية رغم أن الظاهرة الثانية قد وقعت في أعقاب وقوع الأولى مثل ظاهرة الاحتراق التي أعقبت وضع القطن في النار أو كالموت تلا قطع الرقبة.

وإنما تجعل الأشاعرة وقوع الظاهر تين متتاليتين نوعًا من العادة والاقتران، أي أننا اعتدنا مشاهدة الموت بعد قطع الرقبة والاحتراق بعد الإلقاء في النار، فاقترن ذلك في أذهاننا، لكنه اقتران عادة وليس اقتران سبب أحدث مسببًا أو سبب أحدث نتيجة.

وهذا التفسير الأشعري قد انتقل بحرفيته إلى ثلاثة من مفكري الغرب. ديفيد هيوم، ومالبرانش، وباركلي. لذلك يقول الفرنسي إرنست رينان بحق: إن هيوم لم يتكلم في هذه المسألة أكثر مما تكلم الغزالي.

ثانيًا: الفلاسفة المسلمون:

1- انتقلت في المجال الفلسفي فكرة (القوة المصورة) لدى الكندي وهي القوة الوسيطة بين الحس والعقل وتسمى قوة التخيل أو التوهم وهي تدرك الأشياء دون حاملها المادي، فهي لا تقوم على المادة وحدها كما يفعل التجريبيون ولا على العقل وحده كما يفعل المثاليون، وإنما تأخذ عن الحس وتقدمه للعقل كي يجرده من المحسوس المادي.

هذه الفكرة أخذها بحذافيرها الفيلسوف (إيمانويل كانت) فلو قارنت بين ما قاله (كانت) وما قاله الكندي في رسالته في ماهية النوم والرؤيا، وفي كتابه في الفلسفة الأولى، ولوجدته متطابقًا.

2–ولا شك أن تأثير ديكارت بتجربة الشك عند الغزالي أشهر وأعرف من محاولة إبرازها.

3– أما مجال تصنيف العلوم الذي برع فيه الفارابي وألف فيه كتابا سماه إحصاء العلوم، فإن روجر بيكون المسمى أبا الفكر الأوربي الحديث، قد تأثر به تأثرًا واضحًا وذكره بالتحديد في مؤلفاته.

ثالثًا: العلم التجريبي:

هذه مجال العلم ومناهج البحث بمعناه الاصطلاحي الذي ازدهر خلال الحضارة الإسلامية وكان تأثيره في الغرب سببًا من أسباب نهضته.

فالمعروف أن منهج الاستقراء الحديث لم يؤسس في الغرب إلا بعد نقص دعائم المنهج الأرسطي المنطقي على يد كل من روجر بيكون وهؤلاء كما تبين لنا تأثروا بالفكر والمنهج الإسلامي بشكل مباشر ومن خلال القراءة والمؤلفات الإسلامية وتتطابق آراؤهم مع آراء مفكري الإسلام.

وكذلك فإن خطوات المنهج التجريبي لدى جابر بن حيان تسير في جملتها وفق ما اتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمي في العصر الحاضر.

لكل ذلك فإن المنصفين من أبناء العالم الغربي يقررون كما يقول بريفولت: «إن ما يدين به علمنا للعرب ليس فما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين لهم بوجوده نفسه».

وكما يصرح (سارتون) أشهر مؤرخي العلم في العصر الحاضر: «العرب كانوا أعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة الثامن والحادي عشر والثاني عشر»

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الخامسة

مجالات الفلسفة الإسلامية

تتنوع مجالات الفلسفة الإسلامية بتنوع المشكلات التي تصدى لها مفكرو الإسلام، وبتنوع المناهج والأساليب التي وظفوها في معالجة تلك المشكلات، وكذلك بتنوع الغايات المستهدفة من كل مجال...، وذلك على النحو التالي:

أولًا: علم الكلام

هو العلم الذي يبحث في الأحكام الشرعية الاعتقادية لذلك يسميه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (الفقه الأكبر)؛ لأن الفقه هو معرفة النفس ما لها وما عليها من الأحكام، فإن كانت تلك الأحكام تتعلق بالأمور العملية سميت فقهًا، وإن تعلقت بالعقائد سميت فقهًا أكبر.

وهذا العلم غايته كما يقول ابن خلدون هي الدوافع والحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات، لكن لا يجب قصر مهمة علم الكلام على ذلك؛ لأن تعريف النفس ما لها وما عليها في مجال الاعتقاد لا ينحصر ولا يقتصر في أمور الدفاع، وإنما يشمل العرض والبيان والتأصيل والاستدلال.

وقد ارتأى بعض علماء الإسلام مكانة لهذا العلم بسبب موضوعه الذي يهتم به، لكن في مقابل ذلك واجه العلم موجة واسعة من الرفض والهجوم بلغ حدًّا ذهب فيه بعضهم إلى تحريم الاشتغال به.

الأطوار التاريخية لعلم الكلام:

مر علم الكلام بعدة مراحل هي:

أ– النشأة

وهي المرحلة الأولى التي ظهرت فيها فرق واتجاهات مثل: الخوارج والمرجئة والقدرية، وبوادر التشييع، وتصدى لهم علماء السلف من الصحابة والتابعين في القرن الأول.

ب– مرحلة التدوين وظهور المذاهب.

وتستغرق القرن الثاني حتى الخامس الهجري، وفيها ظهرت فرقة المعتزلة والأشاعرة، والمارتدية، ومذاهب الشيعة بفروعها الاثني عشرية والزيدية والإسماعيلية.

وفيها بدأ التأثر بالفلسفة لتأييد مسائل الاعتقاد بقضايا مثل الجواهر والأغراض لإثبات حدوث العالم.

ج- مرحلة التطور والاختلاط بالفلسفة

وتشمل القرن السادس والسابع والثامن وقد اتسمت بسمات عدة:

1-وفيها يصعب التمييز بين علم الكلام والفلسفة.

2- كذلك يتقدم فيها دور العقل على النقل.

3- التقارب بين التصوف والكلام.

4- ظهور الموسوعات الكلامية الكبرى.

د- مرحلة الجمود

وسادت في القرون من التاسع إلى الثاني عشر، وغلب عليها:

1- روح اجترار القديم والشروح والحواشي والمختصرات.

2- الميل الشديد إلى التصوف.

3- الاستقطاب المذهبي، للأشعرية في مصر، والماتريدية في تركيا، والاثنا عشرية في إيران، والزيدية في اليمن، والإباضية في عمان.

هـ- مرحلة النهضة الحديثة في القرنين الأخيرين وفيها:

1- يبدو نوع من التجديد في أساليب التأليف الكلامي.

2- أثر الاحتكاك بالفكر الغربي الذي يبدو في ظهور نزعات فلسفية تأخذ شكل الدين مثل البهائية والقاديانية.

3- الصراع ضد المادية والماركسية.

وتتمثل الاتجاهات الكلامية المعاصرة في اتجاهين:

42- اتجاه انتقائي يتبنى بعض النظريات أو المواقف الكلامية.

43- اتجاه يلتزم بالمذهب الكلامي التراثي كاملًا كما هو الشأن في الجامعات الدينية مثل: الأزهر الأشعري، وجامعات تركيا وما وراء النهر الماتريدية، وجامعات إيران الاثني عشرية.

لكن ينبغي التأكيد على أن السلفي ليست مذهبًا كلاميًّا كما يحب البعض أن يضعها إلى جوار الفرق والمذاهب الكلامية سواء في الماضي أو العصر الحاضر.

فالسلفية هي مذهب أهل السنة والجماعة الذي يعكس ما كان عليه النبي ﷺ من اعتقاد وعمل، فهو ليس فرقة أو مذهبًا ناشئًا؛ لأن الذي يمثل مذهب السلف هم الصحابة والتابعون ومن اتبعهم بإحسان مثل أئمة المذاهب الأربعة، ومثل شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم ممن سار على دربهم.

ثانيًا: الفلسفة المشائية:

هي المدرسة الفكرية التي يمثلها الكندي والفارابي وابن سينا في الشرق وابن طفيل وابن باجة وابن رشد في الغرب، وهي امتداد لفلسفة أفلاطون وأرسطو مع نزوع إلى محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة.

وقد اهتموا ببحث مسائل فلسفية تقليدية كبرى مثل: الله، والعالم، والإنسان، وكذلك قضايا الزمان والمكان، ونظرية المعرفة، إلى جانب ما برعوا فيه من علوم أخرى، كالرياضيات، والفلك، والطب... إلخ.

وقد اتهم الفلاسفة المسلمون باتباع الفلسفة اليونانية والنقل الخالص عنها، لكن يمكن القول بأنهم لم يكونوا مجرد نقلة بل أضافوا إليها نظرات مبتكرة تعدِّل أو تصوب أو تضيف إلى مقالات اليونان والهنود والفرس ويظهر ذلك في عدة أمور.

1- ما قاموا به من نقص المنطق اليوناني الأرسطي.

2- جهودهم في اكتشاف طرق المنهج التجريبي مسهمين بذلك في تأسيس قواعد المنطق الاستقرائي الحديث.

ثالثًا: أصول الفقه:

هو أعجوبة العلوم نظرًا لما يتضمنه من مناهج وقواعد وأصول وأسس تنظيم استنباط الأحكام الفقهية من الأصول الشرعية للاستنباط في الإسلام.

وله هدف عظيم في حفظ وصيانة أدلة التشريع وعدم العبث بها أو تجاوزها، وحفظ ما لها حجية، ودرء الخلاف حول جهات الاستدلال ومرجعيته.

وموضوعه والبحث في الأدلة الشرعية الكلية من حيث كيفية الاستدلال منها، وهي قسمان:

القسم المتفق عليه: وهو القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس.

القسم المختلف حوله: الاستحسان، والمصالح المرسلة، وقول الصحابي، وسد الذرائع، وشرع من قبلنا.

كما يبحث في الاجتهاد وشروطه، والتقليد وأحكامه، وتعارض الأدلة وكيفية الترجيح بينها.

أهم مناهجه:

الإمام الشافعي أول من ألف في علم الأصول بكتابه الفذ (الرسالة)؛ إلى جانب كتبه الأخرى، مثل: جماع العلم، اختلافات الحديث، إبطال الاستحسان وقد سار على طريقته في الرسالة الشافعية، مثل الجويني في كتاب البرهان، والغزالي في المستصفى، والرازي في المحصول، والآمدي في أصول الأحكام.

ويعتمد منهجهم على التقرير والنظر إلى الحقائق المجردة.

وقام منهج فقهاء الحنفية على استنباط القواعد من مجموع الفروع الفقهية المتشابهة لتحويلها إلى قاعدة كلية، وأشهر كتبهم (الأصول) للكرخي، الأصول للسرخسي.

وهناك من المتأخرين من جمع بين الطريقتين مثل الشوكاني في (إرشاد الفحول)، وكتاب (التحرير) لكمال الدين بن الهمام.

المنهج العقلي في أصول الفقه:

الاجتهاد عمل يتطلب جهدًا كبيرًا للوصول للحكم فهو ليس خاضعًا للهوى، لذلك وضعت له شروط لا بد من تحققها حددها الشافعي في:

1- معرفة اللغة العربية معرفة جيدة.

2- العلم بعلوم القرآن والسنة.

3- العلم باجتهادات السابقين.

4- المعرفة بالقياس المتعلق بالعلة ودورانها.

5- الخبرة بموضوع الفتوى.

أما المنهج المتبع في أصول الفقه فيقوم على:

1- استقراء النصوص الشرعية في الكتاب والسنة حول موضوع المسألة.

2- التأكيد من نسبة الحديث إلى النبي ﷺ.

3- ترتيب النصوص من حيث وثاقتها ودلالتها ودرجتها؛ فالمتواتر يقدم على الآحاد...إلخ.

4- ترتيب النصوص من حيث التاريخ مراعاة للناسخ والمنسوخ.

5- الدارسة اللغوية لدلالات الألفاظ الواردة في النصوص.

6- بحث مصادر المسألة أهي النصوص فقط أم نصوص وإجماع.

7- التوفيق بين ما قد تعارض أو يبدو متعارضًا من مدلولات ومعاني النصوص الشرعية.

8- البحث عن نصوص مشابهة أخرى للمسألة موضوع البحث.

9- البحث عن نصوص عامة أن لم يوجد في المسألة نص ولا نص مشابه، فقد يوجد نصوص عامة تتعلق بمصلحة من المصالح التي تعمل الشرعية على حفظها، وصيانتها.

ولم يكتف الأصوليون بوضع هذا المنهج الدقيق في الاستدلال بل إنهم وضعوا منهجًا لضبط الخلافات والمناظرات المتعلقة بأصول مذاهبهم الفقيه، يقوم على ضبط القواعد والأحكام العامة للجدل والتزام آدابه وإصلاح النية للوصول إلى الحق.

المحاضرة السادسة

رابعاً: التصوف

التصوف نسبة إلى لبس الصوف الذي كان يميز الصوفية دون سواه من العلوم أو الأحوال أو المقامات المتغيرة لديهم، وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية سبب تسمية الصوفية بذلك الاسم لهذا السبب.

وقد طرحت تعريفات عدة للتصوف من جانب الصوفية تدور كلها معاني الزهد وتزكية النفس والمعرفة الذوقية.

نشأة التصوف

لم يطلق على أحد من المسلمين في عهد النبي ﷺ والصحابة لقب صوفي، فالتصوف اسم طارئ في الأمة الإسلامية، ويرجع تاريخ ظهوره إلى القرن الثاني، عندما سلكت طائفة من المسلمين مسلكًا في الحياة، تظهر فيه ما يكشف عن رفض الاستغراق في الازدهار الاقتصادي والحضاري المترتب على الفتوحات الإسلامية.

لهذا ينبغي الفصل بين جوهر ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة من زهد وإقبال على الله وانصراف إلى الآخرة وبين التصوف كمذهب مستقل ذي سمات وخصائص وأصول فيها ميل للزهد.

فإن التوافق حول مسألة الزهد قد جعل كثيرين يحاولون إرجاع نشأة التصوف إلى عصر الصحابة والتابعين، وربطة بالزهاد والأوائل أمثال الحسن البصري وسفيان الثوري... وغيرهم.

ولما ازدهرت الحياة العلمية في الإسلام بدأ الصوفية متأثرين بها في محاولة تدوين علم التصوف، وما عليه الصوفية من أحوال ومقامات.

فكان كتاب «الرعية لحقوق الله» للحارث المحاسبي (ت234هـ) من أوائل المؤلفات الصوفية، ثم في القرن الرابع ظهر كتاب (التصوف لمذهب أهل التصوف) للكلاباذي (ت380)، وكتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (ت386هـ)، و«الرسالة» للقشيري (376 هـ- 465 هـ) ثم جاء الغزالي في القرن الخامس فوضع واحدًا من أهم كتب الصوفية وهو «إحياء علوم الدين».

أنواع التصوف:

هناك محاولة للتفرقة بين صنفين من أصناف التصوف تستند إلى تقسيم التصوف إلى مرحلتين: مرحلة أولى كانت وجهته إسلامية، ومرحلة تالية تأثر فيها بالتيارات الأجنبية اليونانية والمسيحية والهندية التي قادتهم عقائد مثل الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، وبالتالي يمكن بناء على ذلك التمييز بين نوعين من التصوف، وهما:

أ- التصوف السني:

وهو الذي تمسك أصحابه بالمضمون الإسلامي، وتمثيل الصوفية في ذلك الفضيل بن عياض، والجنيد، وسهل التستري، وذو النون المصري، نظرًا لقول بعضهم مثل الجنيد: «علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتلكم بعلمنا».

ب- التصوف الفلسفي:

وهو التصوف الذي مزج فيه أصحابه طريقتهم بفلسفة ومعتقدات الديانات الأجنبية القديمة، ويمثل هذا الاتجاه الصوفية مثل الحلاج المقتول (ت309هـ) القائل بالحلول، والسهروردى المقتول (586- 588هـ) صاحب المذهب الإشراقي ووحدة الوجود.

أسس التصوف:

يقوم التصوف على ركنين هما:

أ. الطريقة

وهي المنهج الذي يجب على الصوفي اتباعه في قطع المنازل والترقي إلى المقامات وصولًا إلى الله.

وتبدأ تلك الطريقة بالتوبة إلى الله، ثم الاستعانة بشيخ من شيوخ التصوف إلى جانب الذكر والنوافل، وبعد ذلك تتوالى الأحوال التي هي معانٍ ترد على القلوب من حزن أو قبض أو بسط، أو طرب، فإن دامت تلك الأحوال صارت مقامات نتيجة الجهد الذي يبذله الصوفي لاستبقائها؛ لأن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب.

ب- المعرفة أو الحقيقة:

هي النتيجة التي ينتهي إليها المتصوف بعد مراسم الطريق، فتشرق في قلبه معرفة يمتلئ بها قلبه، فتبدأ بالمكاشفات والمشاهدات فيشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم يقظة، ثم يرتقي الصوفي إلى حالة القرب أو الاصطلاح التي هي لون من الاتحاد يتخلل منه إما الوصول أو الحلول أو الاتحاد كما يقول الغزالي.

وهذه الحالة من القرب تثمر معرفة تسمى المعرفة اللدنية (العلم اللدني)، وهي نوع من العلم يتحقق من خلال وسيلتين:

الأولى: إلقاء الوحي، بتعرض النفس للنظر الإلهي فيلقي فيها وينقش الصور والعلوم مصداقًا لقوله تعالى: «وعلمك ما لم تكن تعلم».

الثانية: الإلهام، وهو تعريض بالأمر الإلهي عكس الوحي الذي هو تصريح الأمر الإلهي، وقد حُظي باسم العلم اللدني لعدم وجود واسطة بين الله وبين النفس المتلقي لذلك العلم.

المراحل التاريخية للتصوف:

الأولى: تتميز بالبساطة ويغلب عليها الاتجاه العملي من زهد وتقشف دون نزوع إلى فلسفة أو أصول خاصة للتصوف، وعلامتها لبس الصوف وأعلامها إبراهيم بن أدهم ورابعة العدوية.

الثانية: مرحلة النضج والتأصيل الفكري والعملي، وتتسم بـ:

1- بناء فلسفة تتجه نحو الفلسفة بوضوح كما في حالة ابن سبعين وابن عربي والبسطامي، وقد يتطرف أصحاب تلك الحالة فتكون نهايتهم مأسوية مثل السهروردي والحلاج المقتولين.

2- استخدام سلاح الشعر لنصرة التصوف كما لدى ابن الفارض، والرومي، والعطار.

3- ظهور الطرق الصوفية السائدة حتى اليوم.

الثالثة: بدأت من القرن السابع وتستمر حتى اليوم ويغلب عليها روح التبعية للسابقين وتقليدهم واجترار نتاجهم.

ولاحظ مدى الحاجة إلى ما يدلل على صحة أمور فيما يخص تاريخ التصوف ومراحله:

1- جواز إطلاق التصوف السني على قسم من التصوف؟
2- إسهام الطرق الصوفية في الجهاد؟
3- اقتراب الغزالي والجنيد والسهروردي من الموقف الديني السلفي؟

خامساً: الأخلاق

اهتم المسلمون بالأخلاق اهتمامًا كبيرًا ظهر ذلك من خلال طوائف المسلمين المتعددة التي أسهم كل منها بنصيب في مجال الأخلاق:

فالصوفية أسهموا من خلال كتابات الحارث المحاسبي «الوصايا» ومن خلال الحكيم الترمذي (الرياضة وأدب النفس).

والفقهاء استند الإمام مالك إلى الأصل الفقهي (المصلحة المرسلة) لحل عدد من المشكلات الأخلاقية، وكذلك كانت قاعدة (لا ضرر ولا ضرار)، وقاعدة (الضرر لا يزال بالضرر). أساسًا لمراعاة الأخلاق في المعاملات.

وكذلك اتخذ رجال الحديث من سنة النبي ﷺ القولية والفعلية نموذجًا أخلاقيًّا للعمل مصداقًا لقوله تعالى: «وإنك لعلى خلق عظيم»، فكتب الإمام البخاري في ذلك كتاب «الأدب والمفرد»، والإمام مسلم عقد أبوابًا في صحيحه للبر والأدب والزهد... إلخ.

واهتمت الكتب الموسوعية بالأخلاق أيضًا مثل: «عيون الأخبار»، لابن قتيبة (276هـ) الذي كانت مكارم الأخلاق ووافقه لتأليف هذا الكتاب.

وأفردت طائفة من المؤلفين عددًا من المصنفات لتتبع أخلاق العلماء مثل كتاب الآجري، أو الملوك مثل كتاب الماوردي (نصيحة الملوك)، أو القضاة (أدب القاضي)، رواة الحديث (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي.

تطور فلسفة الأخلاق لدى المسلمين:

بعد ازدهار حركة الترجمة توجهت عناية طائفة من مفكري الإسلام إلى الإفادة من تراث الأمم الأخرى خاصة اليونان في مجال الدراسات الأخلاقية، مما أثمر نشأة مذاهب ونظريات أخلاقية تعكس ثقافات تلك الأمم وأفكارها، مما دفع بعض الباحثين والمؤرخين إلى القول بأن الفكر الإسلامي.

في مجال الأخلاق كان فكرًا أجنبيًّا مكتوبًا بلغة عربية وليس أصيلًا مبتكرًا، ولكن ذلك الاتجاه فيه تحامل كبير على الفلسفة الإسلامية لأن هناك مدارس فكرية في مجال الأخلاق نشأت إلى جوار الفلاسفة المشائين، مثل:

أ- الأخلاق عند المعتزلة

فالمعتزلة تلك الفرقة استعانت بالأدلة العقلية والمنطقية لتبرير معتقداتها كان مبدأ (العدل) الذي يعني أن الله تعالى لا يفعل القبيح، بل يفعل فقط الصلاح والأصلح الذي هو واجب عليه.

وقد ترتب على هذا المبدأ عدة آراء في الأخلاق قالت بها المعتزلة، مثل:

1- التحسين العقلي:

أي أن حسن الأشياء أو قبحها أمر يحكم به العقل ويدركه وحده، وقد وافقهم في ذلك بعض الغربيين المحدثين مثل الفيلسوف الألماني كانط.

2- حرية الإرادة والفعل الإنساني واستقلالها وذلك كي يكون مستحقًّا للثواب والعقاب بحسب فعله، وكي لا يكون مجبرًا على فعل المعاصي فينسب القبح إلى الله الذي أجبره على تلك المعاصي، وبذلك يستوجب المسئولية الأخلاقية عن فعله، سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة .

3- شرط النية لصلاح الفعل

وبالتالي لا يسقط الحج عمن أداه بمال حرام، ولا يصح ذبح بسكين مغصوبة، ولا بيع بمال غير مشروع.

المحاضرة السابعة

ب- الأخلاق عند الفلاسفة.

وهم طائفة المسلمين التي اشتغلت بالدرس الفلسفي على طريقة اليونان محاولة التوفيق بين الفلسفة وبين الدين الإسلامي، مثل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، ومسكويه الذي اشتهرت كتبه في الأخلاق على نحو مخصوص.

وقد كانت الأخلاق لدى هؤلاء امتدادًا للتراث اليوناني، فقد اهتموا بكتب أرسطو وأفلاطون في الأخلاق، وتأثروا بتقسيمهم النفس إلى: شهوانية، وغضبية، وناطقة، وكذلك تقسيمهم للفضائل، وتصورهم للسعادة محاولين ربطها كما فعل مسكويه بالدين والشرعية الإسلامية.

جـ- الأخلاق عند الصوفية

وكان اهتمام الصوفية بالأخلاق من خلال حديثهم عن مجاهدة النفس التي تتطلب مخالفة الهوى، وذلك يتضمن غايات أخلاقية واضحة تتمثل في إحلال الأخلاق الحسنة محل الأخلاق السيئة مما يعبر عنه الصوفية بالتخلية والتحلية (أي التخلي عن المذموم والتحلي بالمحمود).

وكذلك اهتم الصوفية بالأخلاق في ثنايا اهتمامهم بالحديث عن المقامات وما تتطلبه من تهذيب أخلاق المريد والسالك وتخلصيه من نقائصه وعيوبه، وأيضًا ما تتطلبه من أخلاق دينية يستعين بها طالب المقامات مثل التوكل، والخوف، والصبر، والرجاء والشكر.

ويحاول الصوفية من خلال حياتهم الاجتماعية أن يكونوا متخلقين بالأخلاق الحسنة، وفي هذا الإطار لا يبدو أن حياة العزلة وتجنب الناس شيء إيجابي؛ لأنه يخالف سنة المصطفى ﷺ في المخالطة وعيادة المرضى وشهود الجنائز وقضاء الحوائج.

وهم يعيشون حياة مسالمة لأنهم من خلال مسلكهم الزهدي لا ينافسون أصحاب الدنيا وطالبيها.

وفي مخالطتهم بعضهم بعضًا يتحدثون عن آداب الصحبة وشروطها من المودة وحفظ الغيبة وتمام الوفاء، وزوال الجفاء...إلخ.

وقد تميز الدرس الأخلاقي لدى الصوفية بعدة أمور:

الأول: أن الأخلاق لديهم ليست نظرية فقط بل إنها تجد سبيلها إلى التطبيق العلي كما يقول الجنيد: «ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات».

الثاني: إمكانية تغيير الأخلاق واكتسابها فقد ظهر ذلك المعنى لدى الحكيم الترمذي في حديثه عن نظام النفس عن شهواتها، كما يفطم الصغير عن ثدي أمه.

الثالث: الاهتمام بالنية لأنها أول العمل وبدايته، كما أن بعض الأعمال المتشابهة لا يمكن التفرقة فيها إلا بالنية التي تفرق بين العادة والعبادة وبين الغرة بالإيمان، وبين الاغترار، وبين التوكل والتواكل.

كما أن النية تحول العمل التقليدي إلى طاعة مثل الطعام والشراب والجماع.

الرابع: جمع الدرس الأخلاقي لدى الصوفية بين الحديث عن الجانب الإيجابي المتعلق بالفضائل واكتسابها، وبين الجانب السلبي المتعلق بالرذائل ومقاومتها، وبالتالي تحدثوا عن المقامات المكتسبة مثل الصبر والشكر والرضا، وتحدثوا في الآن نفسه عن أمراض النفوس المعوقة عن الوصول للترقي الأخلاقي مثل الحسد، والكبر، والرياء.

الخامس: كثير من أهل التصوف لم يرتفعوا إلى المستوى الأخلاقي الرفيع الذي دعوا إليه، لهذا وجدنا منهم من قال بإسقاط الأعمال والتكاليف والأخلاق عندما يصل إلى درجة معينة من الطاعة والولاية.

السادس: أنها تبدو أخلاقًا سلبيةً فيها قدر كبير من المبالغة وذلك لكونها من ناحية تتبنى العزلة مفهومًا اجتماعيًّا ودينيًّا، وكذلك اعتمادها على الصراع الباطني بين قوي الإنسان لتحقيق المجاهدة المطلوبة باقتلاع الغرائز والخروج عن طباع النفس.

ابن رشد

أبو الوليد بن رشد المولود في 520هـ في قرطبة في بيت علم فقهي، فالجد عالم فقيه على مذهب الإمام مالك، وكان قاضي قرطبة كذلك وقد بدأ ابن رشد طلب العلم بحفظ (موطأ) الإمام مالك ثم بدأ دراسة علم الكلام الأشعري والرياضيات وعلوم الفلسفة فاستطاع التفوق في الفقه وتأليف كتاب قيل عنه إنه لا يعلم في فئة كتاب أنفع منه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) فتولى بسبب نبوغه الفقهي قضاء قرطبة كذلك.

لكن نبوغه الأكبر كان في الفلسفة التي ساد فيها عصره وكتب فيها الرد الأشهر على الغزالي (تهافت الفلاسفة) وأسماه كتاب (تهافت التهافت) كما ألف في مجال البحث عن العلاقة بين الحقيقة الضرعية والحقيقة العقلية كتاب (أفضل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)وفي مجال نقد المذاهب والمناهج ألف (مناهج الأدلة في عقائد الملة) وكان مجموع ما ألفه حوالي عشرة آلاف ورقة ما بين شرح واختصار وتأليف ونقض.

لذلك كان ابن رشد كما يقول (مونك) واحداً من أشهر العلماء في العالم الإسلامي ومن أكثر شراح أرسطو عمقاً.

نكبة ابن رشد

كان ابن رشد قد حظي بتقدير وتكريم الأمير أبي يعقوب في دولة الموحدين الذي كلفه بشرح كتب أرسطو، وقد زادت مكانة ابن رشد لدى الخليفة أبو يوسف الملقب بالمنصور(580هـ) مما أثار حفيظة العلماء عليه فدبرت له المكائد ورمى بالتهم الباطلة التي نسبت إليه الزندقة والمروق من الدين فحكم عليه بحرق كتبه ونفيه خارج البلاد بإخراجه من المسجد هو وأولاده ويقال إن المسألة تتعلق بغضب الخليفة عليه لأنه كان يناديه يا أخي فاستعظم الخليفة ذلك، وقيل إن ابن رشد في كتابه (الحيوان) ذكر الزرافة وقال إنها حيوان لا يوجد إلا عند ملك البربر فلم يعجب الأمير ذلك اللقب فانقلب عليه.

لكن الذي يظهر أن حسد العلماء والمنافسين لابن رشد هو السبب الحقيقي وراء تلك النكبة التي تعرض لها؛ لأنهم كانوا يمارسون ضده دعاية قوية بسبب اهتمامه بالقضايا العقلية والفلسفية التي يجهلونها ويجهلها الناس مما سهل لهم إقناع الناس بأنه مارق عن الدين رغم أنه الفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه.

أسباب محاولة ابن رشد التوفيق بين الفلسفة والدين

السبب الأول

رأى الجمهور أن الحكمة مخالفة للشريعة ويجب اجتنابها ويرى ابن رشد أنه لا توجد مخالفة بين الحكمة والشريعة فقط المخالفة تكون في عقل من لم يقف على حقيقة كل من الحكمة والشريعة، لذلك رأى أن واجبه هو فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال .

السبب الثاني

ظروف الأندلس التي كان يسود فيها المذهب المالكي المعارض للفلسفة تأثراً بحملة الإمام أبي حامد الغزالي على الفلسفة والأذى يكون أشد كما يقول ابن رشد عندما يأتي من الصديق الذي هو هنا الفيلسوف أبي حامد الغزالي .

السبب الثالث

الصراع بين الفرق الإسلامية التي رأت كل واحدة منها أن الحقيقة هي ما اهتدت إليه وحدها وبالتالي قالت بضلال كل المخالفين أو كفرهم.

السبب الرابع

حبه المفرط لأرسطو وبفضل أرسطو وشرح كتبه جعل ذلك الناس يرمون ابن رشد بالمروق من الدين فأراد التوفيق بين الحكمة والشريعة لكي ينفي ذلك.

منهج ابن رشد في التوفيق بين الفلسفة والدين

بدأ ابن رشد محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين بالدفع عن الفلسفة الشبهات والتهم التي رماها أبو حامد الغزالي وذلك بتأليفه كتاب تهافت التهافت في الرد على الغزالي .

ثم عمد ابن رشد إلى منهجية مستقلة في محاولة التوفيق بين الحكمة والشريعة، فلم يفصل كما فعل ابن طفيل في (حي بن يقظان) عندما جعل الحقيقة يمكن الحصول عليها بالفطرة والحس والتأمل الصوفي ولم يفصل كما فعل فلاسفة المشرق عندما جعل المسألة ثانوية في كتبهم .

إذ إن ابن رشد قد خصص كتابين لمعالجة قضية التوفيق هما (مناهج الأدلة في عقائد الملة)، (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال).

واستند إلى عدة أسس :

1- أن الدين يوجب التفلسف

فالفلسفة كما عرفها هي النظر في الموجودات من جهة دلالتها على الصانع بمعرفة صنعتها، وهذا واضح في كثير من آيات القرآن مثل قوله تعالى: "فاعتبروا يا أولي الأبصار" فهذا نص على وجوب استعمال القياس الفعلي والشرعي . وقوله تعالى: "أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء " فهذا نص في الحث على النظر في الموجودات . وإذا كان الاشتغال بالفلسفة ليس محظوراً في الدين فإن الواجب أن يكون النظر في الموجودات بالقياس العقلي الذي يفيد اليقين .

وذلك المنهج في القياس يتطلب دراسة المنطق لأن المنطق آلة الفلسفة ، وهو بمثابة القياس الفقهي عند الفقيه فهو قياس عقلي عند الحكماء .

والحق أن جمهور الأمة يثبت القياس العقلي ولا يقول بتحريمه، فإن كان القياس العقلي ضرورياً في نظر الشرع فلا يعقل ألا نستفيد من جهود العقلاء السابقين ونهدر ما جاءوا به.

كذلك لا يستطيع الواحد منا النظر في كل المسائل والاجتهاد فيها فوجب عليه الاستعانة بجهد الآخرين.

2- الدين له ظاهر وباطن

بمعنى أن بعض مسائل الدين قد لا يفهمها إلا الخاصة من أهل العلم وذوي العقل والألباب، أما بقية المسائل فهي مشتركة بين الجميع يفهمها طبقات المجتمع الثلاثة : العامة الخطابيين الذين يقنعون بالأدلة الخطابية، والمتكلمين الذين يقنعون بالأدلة الجدلية، والفلاسفة الذين لا يقنعون إلا بالبرهان، ويستدل ابن رشد على ذلك بما رُوي عن علي بن أبي طالب من قوله الذي رواه البخاري: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله ؟

مما يعني تفاوت الناس واختلاف الفطر والقرائح الذي راعاه الخطاب الإلهي للبشر في استعمال الأمثال الظاهرة للفئة الخطابية والجدلية، واستعمال الباطن الذي لا يتجلى إلا لأهل البرهان فلا يحتاج إلى ضرب الأمثلة .

فهناك بعض الأمور التي لا يجب تأويلها وهناك بعض الأمور التي لا يجب تأويلها وهناك بعض الأمور التي ينبغي تأويلها لأن ظاهرها يُوهم الكفر والخطأ، لذلك أخبر النبي . ﷺ . كما يرى ابن رشد بإيمان الجارية عندما أجابت بأن الله في السماء، لأنها أخبرت بالظاهر الذي تفهمه وهي ليست من أهل البرهان، أما أهل البرهان فعليهم أن يفهموا ذلك على حقيقته.

3- التأويل ضروري لخير الشريعة والحكمة

ويعتمد هذا الأساس على الأساس السابق لأن الدين إن كان له ظاهر وباطن فيعني ذلك وجوب تأويل الأمور الدينية التي قد يتعارض ظاهرها مع العقل لأن الدين لا يمكن أن يتعارض مع العقل، وبالتالي يكون التأويل خيراً للعقل والشرع معاً كي يمكن البرهنة على كل أمور الدين التي قد لا يفهمها كثير من الناس لأن مقصود الشرع تفهيم الجميع .

فنصوص الشرع ثلاثة أقسام :

1- صنف يُحمل على ظاهرة لا يجوز تأويله بل يكون تأويله كفراً إن كان في المبادئ أو بدعة إن كان فيما دون المبادئ.

2- صنف يجب على أهل البرهان تأويله لأن حملهم على ظاهره كفر، ويكون تأويل غيرهم له كفر في حقهم .

صنف يتردد بين الأمرين ويكون المخطئ فيه معذوراً مثل صفات (المعاد) التي أوجب البعض حملها على ظاهرها، وحملها بعض أهل البرهان على التأويل فأثبتوا وجودها وأوَّلوا صفاتها.